جدّتى
حكت لى
٨



أطفال البحر

محمد أحمد برانق
محمد شفيق عطا

دار المعارف

جدتى
حكت لى
(٨)

أطفال البحر
قالب الزبد والفراشات

كتبها
محمد أحمد برانق
محمد شفيق عطا

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

وفى يوم السبت الثانى من شهر ديسمبر « كانون الأول » وفى الحصّة الأولى دخلت المدرسة فحياها جميع التلاميذ والتلميذات .

ثم رفع « علاء » يده .

وقال : جدتى حكت لى حكاية لطيفة فى هذه الليلة .

فقالت المدرسة : ماذا حكت لك جدتك يا علاء ؟

قال علاء : جدتى حكت لى حكاية « أطفال البحر » .

فقالت له المدرسة : احك الحكاية .

قال « علاء » :



أطفال البحر

كانَتْ هِنْدُ تَسْكنُ فى بَيْتٍ بالْقُربِ منْ شاطئ البحْرِ ، وكانَ بهذا البيْتِ حجرةٌ بها خمسةُ أَسِرَّةٍ مُرِيحة ، لا ينامُ فيها أحَدٌ ، وكانتْ هندُ وحيدةً حزينةً ، مع أنَّها كانت تجِدُ ما تُحِبُّ منْ ثيابٍ ثمينةٍ غاليةٍ ، وطعامٍ جَيِّدٍ ، فلَيْس معَها مَنْ تَلعبُ معَه أو تَتَسلَّى ، أو حَتَّى منْ تخْبِرُه عمَّا فى نفْسِها ، وتبُثُّه شَكْواهَا ، وذلِك لأنَّ أباها وأمَّها كانَا بَعِيدَيْن عنْها جدًّا ، كانا حينئذٍ فى رِحلةٍ فيما وراءَ البحارِ .

وتمنَّت هندُ لو تمكَّنَت من إحْضارِ خَمسَةِ أطفالٍ ، لتَضَعَهم فى هذِه الأسِرَّةِ الخاليةِ ، لِتلْعبَ معَهُم طولَ

يوْمِها ، فاللَّعِبُ بالدُّمَى والعرائِس لا يُمْكِن أبدًا أن يكون مسلِّياً مثْلَ اللعب مع الأطفالِ الحقِيقيِّين .

وكانت هِنْدُ كثيرًا ما تُحدِّثُ نفْسَها بذلك ، وهى تسيرُ على شاطئ البحْرِ ، فقدْ كانت تُحِبُّ البحْرَ والرمالَ ، والأمواجَ التى تُرْسِلُ الرَّذاذَ المُتطايرَ ، وتُحِبُّ صُخورَ البحْرِ ، والبُحَيْراتِ العميقةَ حيثُ يعيشُ الْجَمْبَرِى ، وتَكْثُرُ الأشياءُ الغريبةُ كالأصْدافِ ، وأبِى جَلَمْبُو ، وشقَائِقِ النُّعْمانِ .

كانت هِنْد لا تزالُ تُفكِّر فى الأطفالِ والنباتاتِ البحْرِيَّةِ ، والقَواقِع ، والأصْدافِ ، عندما سمِعَتْ صوتَ مَاءٍ يَتَطايرُ منَ البحيرةِ المجاورةِ ، فنظَرت فرَأَتْ هُناكَ سمكةً كبيرةً لها زِعْنِفةٌ طويلةٌ شائكةٌ على ظَهْرِها ، تكْسُوها قُشورٌ فِضِّيَّةُ اللَّوْنِ ، وكانت هذهِ السمكةُ

تحاوِلُ أنْ تقفِزَ مِنَ البحَيرةِ لِتُخلِّصَ ذَيْلَها الذى كانَ قدِ انْحشرَ بيْنَ صَخْرتَيْنِ ، ولكنَّها لم تكُنْ تستطِيعُ تَخْلِيصَه ولا أنْ تنحَنِيَ ، ولا أنْ تَدُورَ .

اقْتربتْ هِنْدُ منَ السمكةِ ، فرأَتْها ذاتَ عينيْنِ مُبَحْلِقَتَيْنِ ، فسَمَّتها « الْبُحليقَ » ولما كانت هِنْد فتاةً طيبةَ القَلْبِ ، فلم تَقْدِرْ أنْ تذْهبَ ، وتترُكَ السمكةَ المسكينةَ مَمْسُوكةً منْ ذيْلِها ، لذلك وقَفتْ وساعَدَتْها حتى خلَّصَت ذَيْلَها ، وأطلْقَت سَراحَها ، وجاءت موْجةٌ عظيمةٌ إلى البحيرةِ ، فضرَب «البُحليق» بِذَيْلِه ، وأرادَ أنْ يعُودَ إلى مَكانِه فى البحْرِ معَ الموْجَةِ القويَّةِ ، فصرَخت هِنْدُ :

خذْنِى معَك ، إنِّى أريدُ أنْ أرَى : هل هُناكَ تحتَ الماءِ أطفالٌ منَ البحْرِ كما قَالَ خالِى .

فانْحَنَى البحليقُ بطريقةٍ دَائريَّةٍ ، واسْتقَامَ بعْد ذلك ، لكَى تَتمكَّنَ هِنْدُ مِنَ الركوبِ فوق ظهْرِه.

ولما رَكِبَتْ هِنْد، قال لَها البحليقُ : ضَعِى ذِراعَيْكِ حولَ رَقبتى ، وأغمِضى عيْنيْك ، فإنَّ مَلِكةَ البحْرِ سوْف تكُونُ فى أَشَدِّ حالاتِ الغضَبِ ، إذا عَلمَتْ أنى سأُطْلِعُكِ عَلى أىِّ سِرٍّ من أسرارِها .

طَوَّقَت هِنْد عُنُقَ البحليق بِذراعَيْها ، وأمْسكَتْه بقُوَّةٍ ، وأغْمضَت عيْنيْها ، ولم تَفْتَحها حتَّى أَنْزلَها البحليقُ عَلى الرِّمالِ الناعمةِ فى قَاعِ البحْرِ .

وَقفَتْ هِنْدُ على الرِّمالِ وفَتَحتْ عيْنَيْها ، ولكنَّها دهِشتْ ؛ فإنَّ المياهَ المالحةَ لم تدْخُلْ عيْنَيْها ، واعتَقَدتْ أنَّه لا بُدَّ أن يكُون هناك سِحْرٌ ، ورَأَت كلَّ شىءٍ مِن حَوْلِها مُضِيئاً ، يَشعُّ منْه النُّورُ ، وكأنَّها تَقِفُ فى



ركبت هند فوق ظهر « البحلوق »

حديقةِ مَنْزِلها ، وليْسَت فى أعْماقِ البحرْ .

وتعجَّبت هِند ، وقالت بفرحٍ : أَليسَ هذا رائِعاً وبدِيعاً ؟ !

لقد كان المنظرُ من حولها رائعاً حقًّا ، لقد كان هُناكَ أشجارُ المَرجانِ القَرَنفُلِيَّةُ الحمراء ، وكانتِ الأرضُ الرمليَّةُ مُغطَّاةً بالأصدافِ من كلِّ لوْنٍ ، وكان فرحُ هِنْد بما رأت عظيماً ، فصارت تجرى فى كلِّ اتِّجاهٍ ، مُهَلِّلَةً مسرورةً ، وتقدمت نحوَ البُحلِيق تشكُرُه ، ولكنها وجَدَته عابساً مُكَشِّراً ، وقال لها :

إذا كان هذا طبعَكِ ، فالأفضلُ أن تَعُودى إلى منزِلِك الآن ، والتفَّ حولَ نفسِهِ ثلاثَ مراتٍ ، وضربَ بذيْلِهِ ثم مرقَ كالسَّهمِ .

لم تشعُرْ هِندُ بالسَّأمِ والمَلَلِ بعد ذَهابِ البحليق ،

فقد رأت صدفةً بيضاءَ ضخمةً فى وسطِ أشجار المَرْجان ، كانت تُشبهُ قارباً مُستديراً كبيراً، وكانت حافَتُها تلمعُ ، وتخرج منها أشِعَّةٌ جميلةٌ ، وكأنَّها أمُّ اللُّؤْلؤِ .

وهمستْ هِندُ : لا بُدَّ أن أرى ما بداخِلها ، ووقفت على أطرافِ أصابِعها ، لأنَّ الصدفَةَ البيضاءَ الكبيرةَ كانت تتحرَّكُ برِقَّةٍ يميناً وشمالاً ، كأنما نسمَةٌ تهُبُّ عليها فتُحرِّكُها ، وقد خيِّل إلى هِندَ أنها سمعت صوْتَ ضَحِكٍ خافتٍ .

ونظرت هِندُ من فوقِ حافَةِ الصَّدفَةِ ، فرأَت بفُرْجَتِها خمسةَ أطفالٍ ، من أجملِ أطفال البحر الصِّغار ، الذين لا يُمكن أن يحلُم إنسانٌ برُؤْيتِهِمْ ، كان أربعةٌ منهم نياماً ولكنّ الخامسَ كان راكعاً ، ووجْنَتاه مُنْتفِختان ، وهما فى لون الورد ، ونظر إلى هندَ وضحِك ،

فضحِكت له ، وبدأت تهزُّ الصدفَةَ التى تُشبهُ المَهْدَ ، وتُغنِّى لهم :

يا أطفالَ البحر الخمسهْ   يا أحباب القَلْبِ ورُوحى
أنتُم عِزّ وفضلِ ونِعْمهْ   أنتم أحلى هَديَّهْ لِمَامَا

كم كانت تودُّ هِندُ أن يكونوا معها ، وأن تُقَدِّمهم لِأُمِّها التى ستحضُر اليومَ من غَيبتِها الطويلة معَ أبيها ، وكم كانت تودُّ أن تملأَ فراغَ الأسِرَّةِ الخمسةِ الخاليةِ وكانت أُغْنِيتها بديعةً ، وصوتُها عَذبًا ، فيه حنانٌ وحُبٌّ وعَطْفٌ وشفقةٌ ، مِما جَعل الأطفالَ يصحُون من نومِهم ويضحكون ، ويُصدِرُون أصواتًا كأصواتِ الحمامِ .
ثم أَخذوا يتسلَّقون جَوانِبَ الصدفةِ ، ليصلوا إلى هند ، وقبَّلها بعضُهم قُبُلاتٍ حارَّةً وصرخ أكبرُهم :

ماما ! ماما ، ماما .



نظرت هند من فوق حافة الصدفة ، فرأت بفرجتها خمسة أطفال

وحينئذٍ ظهر لها محارٌ من محارِ البحرِ ، وفتح صدفته ، وقال لها .

يجبُ عليكِ أن تعرفى وَاجبَكِ ، وتلزَمى شئُونَكِ فقط ، وتَهْرُبى بعيدًا عن هُنا ، وإذا لم تَفعلى ذلك فسوف تَأْتى مَلِكة البحر ، وتُحَوِّلُكِ إلى أبى جَلَمْبُو ، أو إلى قَوْقَعةٍ . إنَّ هؤلاءِ الأطفالَ لها ، والقاربُ السحْرِىُّ يُطِيعُها هى فقط .

فصرخت هِندُ فى المحار ، وقالت :

إنهم ليسُوا مِلكًا لها ، إنهم آدَمِيون حقيقةً ، ولقد سرَقتهم هــــذه السارقةُ من الأسِرَّةِ الخمسةِ الخاليةِ فى منْزِلِنا . ولهذا فإننى سوف آخذُهُم معى مهما كان الأمرُ ، ومهما حدثَ فلَن أذهبَ حتى آخذَهُم معى .

ولم تسْمعِ الكلامَ ، وقفزت هندُ إلى القارب .

فغنّى أطفالُ البحرِ : هُبْ ، هب ، هب ، مَلكة ، ملكة ، ملكة

فقالت هندُ :

نعَمْ سأكونُ الملكةَ التى تأتى لتأخذَكُم إلى المنزل ، لترجِعوا إلى أسرتكمُ الخمسةِ .

وبينما كان الأطفالُ ينطقون بهذه الألفاظِ ، ارتفعت الصدفةُ التى كانت تُشبهُ القاربَ إلى أعْلَى ، ثم إلى أعْلى ، ثم إلى أعْلى . إلى أن وصَلت إلى أعلى البحر ، حيث الأمواجُ تصطدِمُ بالشاطئِ ، فحملت الأمواجُ هِندَ وقاربَها والأطفالَ الخمسةَ إلى الرمالِ الذهبية .

وفى ذلك الوقت الذى رحلت فيه هندُ مَعَ الأطفالِ الخمسة ، حضرتْ ملِكةُ البحرِ فغضبت وثارت ، وأخذت تصيحُ حتى هزّتْ صيحاتُها العاليةُ الغاضبةُ أركان بيتها المرجانىّ .

ولم تهتمَّ هِندُ بغضَبِ المِلِكةِ ، ولم تخَفْ منها ، وإنما أسرعت فحملت ثلاثةً من الأطفال بين يديها ، ووضَعتِ اثنيْنِ على كَتِفيْها ، وأسرعت بهم إلى المنزل ، ووضعت كلَّ واحدٍ منهم فى سريرٍ مِن الأسِرَّة ، وحضَر أبوها وأُمُّها فصعدت معَهما إلى الطبقة العليا ، لتُرِيَهُما الأسِرّةَ ، وفيها الأطفالُ الخمسةُ ، ولهم شعرٌ ذهبيٌّ ، ووجناتٌ مُورّدةٌ.

واستَيْقظت هِنْدُ على قُبُلات أُمِّها وأَبيها لَها ، وكانا قد عادا من سَفرِهما ، ولما نظَرت حولها تبحثُ عن أطفالِ البحرِ الذين وضعتهم فى الأسرّةِ الخمسةِ لم تجدْهُم . وحينما ذهَبت إلى الشاطئِ لترى الصَّدَفةَ التى حَمَلَتْها والأطفال من قاعِ البحر ، لم تجدها أيضاً .

وتحيَّرت هندُ وتساءلت :

أينْ ذهب الأطفالُ ؟ وأيْن ذهبت الصَّدفةُ ؟ أعادُوا

إلى البحر ؟ أم إنّ ما رأَتْه وحدث لها كان حُلْماً ؟

لقد كانت هندُ في دهشةٍ ، إنّها واثقةٌ كلّ الثقةِ أنّها شاهَدتْ السمكةَ الكبيرةَ التى أَسْمَتْها البحليق .



انتهى «علاء» من حكاية « أطفال البحر » وسمعه التلاميذ والتلميذات وسروا منه سروراً عظيما .

وسألتهم المدرسة الأسئلة الآتية :

١ — ماذا تمنت هند ؟

٢ — بم كافأ « البحليق » هند ؟

٣ — ماذا رأت هند فى جوف البحر ؟

٤ — ماذا رأت هند فى داخل الصدفة ؟

٥ — كيف أمكن هند أن تخرج بالأطفال الخمسة إلى الشاطئ ؟

٦ — من الذى أيقظ هند ؟

أجاب التلاميذ والتلميذات عن الأسئلة إجابات حسنة .

وفرح « عاطف » وقال للمدرسة أنا أستطيع أن أقص القصة كما قصها علاء .

قالت له المدرسة : قص القصة مرة أخرى يا عاطف .

وقف عاطف وقص القصة . فشكرته المدرسة .

قال « عاطف » : فى يوم السبت الآتى أحكى حكاية أسمعها من جدتى كما سمع « علاء » من جدته .

فوافقته المدرسة على ذلك .

وقالت : القصة فى المرة القادمة لعاطف .

وفى يوم السبت الثالث من شهر ديسمبر « كانون الأول » وفى الحصة الأولى دخلت المدرسة ، فحياها جميع التلاميذ والتلميذات .

ثم رفع « عاطف » يده .

وقال للمدرسة : جدتى حكت لى حكاية لطيفة فى هذه الليلة .

فقالت له المدرسة : ماذا حكت لك جدتك يا عاطف ؟

قال « عاطف » : جدتى حكت لى حكاية : « قالب الزبد والفراشات »

قالت المدرسة : احك الحكاية يا « عاطف » .

قال « عاطف » :

قالب الزبد والفراشات

أَتمَّتْ « قالَبُ الزُّبدِ » عامَها الثَّانىَ ، وهىَ تَتَمَتَّعُ بِعطْفِ والِدَيْها وعِنايتِهما ، ولكنَّ القدَرَ لم يَترُكْها فى هذِه النِّعمةِ ، فاختْطفَ الموتُ والدَها ، ثم والدتَها ، وَبقِيَت المِسكينةُ وحيدةً ، لا عائِلَ لَها منْ قَريبٍ أوْ صَديقٍ ، ولكنَّ رَحمةَ اللهِ قَريبةٌ منَ الناسِ ، فرَقَّ لَها قَلبُ الحوريَّات ، والجِنِّياتِ الماهِرات ، فَبنَيْنَ لها بَيْتاً صغيراً فى قلْبِ الغابةِ الضَّخمةِ البَعيدةِ عن العالَمِ المزْدحِمِ ، لِتَنْموَ نُموًّا حَسَناً ، وتَنْشأَ فتاةً جَميلةً بين أَحْضانِ الطَّبيعة .

وبالطَّبعِ لنْ تَسْتطيعَ هذه الطفلةُ الصَّغيرةُ أن تَحصلَ

على طَعامِها وشَرابِها من الغابةِ ، ولِهَذَا بَنت لها الجنياتُ المنزلَ الصغيرَ العجيبَ من أشياء طيِّبةٍ كثيرةٍ ، فقدْ كانت جُدرانُ هذا البَيتِ من الُخبزِ وقِشرتُه الخارجيَّةُ بُنِّيَّةُ اللَّوْنِ ، واللُّبابُ الأبيضُ مِن الداخلِ ، وكانت أرْضيَّةُ الُحجَرِ من الُجبْن ، بَيْنما كانتِ المَوائدُ والكَراسِيُّ من الشِّيكولاتةَ ، ولكنَّ الكُرْسىَّ الكبيرَ الجميلَ الذى كانت تَجلسُ عليَه « قالبُ الزبدِ » كان مَصْنوعاً من الزُّبدةِ الخالِصة ، ومُغَطًّى بالمَسْلِي ، ولهَذَا كانَ لَيِّناً مُريحاً .

وأَنْشَئوا لَها حديقةً صغيرةً جميلةً مليئةً بالأزْهارِ المُتفتِّحةِ ذاتِ الألوانِ المخْتلفةِ الجذّابة وبالفَواكهِ النَّادرةِ الطيِّبة ، وفى وَسطِ هذه الحديقةِ بِركةٌ جَوانبُها منَ المَرْمرِ ، والمَرْجان ، ويُحيطُ بها أزْهارٌ تَتفتَّحُ طولَ العام ،

ويَسْبحُ فى هذهِ البِرْكةِ أنواعٌ من السَّمَكِ العَجيبِ ، تَستَطيعُ الطفلةُ أن تَصطادَ منه ما تشاءُ فى أىِّ وقتٍ ، وتتَغَذَّى بهِ ، وقد علَّمتْها الجنِّياتُ كَيف تُمْسِكُ السمكَ فى شَبَكةٍ حَريريَّةٍ ؛ وأرْشدْنَها إلى الخشبِ الّذى تَجمعُه من الغابة ، وكيف تُوقدُ النّارَ الهادئةَ ذاتَ اللّهبِ الأخضَر والأزرق ، وتَصنعُ عليها طَعامَها .

وذاتَ مَساءٍ أرادتْ « قالَبُ الزُّبدِ » أن تُهيِّئَ عَشاءَها ، فقامت إلى جِدارِ البَيت ، وأخَذَتْ منه قِطعةً من الُخبزِ ، ووَضعَتها على المائدةِ ، فالْتَأَمَ الحائِطُ ، وعاد مكانُ القِطعةِ سليماً كما كان ، ومالَتْ وقَطعت قِطْعةً من الُجبْنِ من الأرضِ ، فوُجِد مَكانَها قطْعةٌ أُخرَى ، وكأنّها لم تَأخذْ شيئاً ، ثم ذَهبت إلى الحديقةِ ، وقَطفت بعضَ الفراوْلةِ الجميلةِ اللّذيذة ، ثم مَلأتْ دوْرَقاً بالماءِ

منْ مِضَخَّتِها ، وأكْملَت وَجْبتها ، ثم جلَسَتْ تَأكلُ علَى المائدةِ سَعيدةً مَبْسوطة .

وفى ذَلك المساءِ شعَرت « قالَبُ الزبدِ » بالسَّعادةِ ، فهِىَ تَفعلُ ما تَشاءُ ، وكلُّ ما تَوَدُّه تَحصُلُ علَيْه ، وهى لا تَشعُرُ بالوحْدة ؛ فكلُّ طَلباتِها مُجابةٌ : فتَستَطيعُ أن تُحادِثَ الطيورَ ، وتُكلِّمَ الأزهارَ ، وتُصغِىَ إلى حَديثِ الشجرِ ، حينَما يهُبُّ عليْه النسيمُ ، وقد علَّمتْها الطيورُ الأغانىَ العَذْبةَ والأناشيد السَّارَّة ، وكان كلُّ ذَلك بفَضلِ الجِنِّيات ، وقَصَّت علَيها الأزهارُ قِصَصاً لَذِيذة ، وهىَ تَجلِسُ بِجانِبِها بِالحديقة .

ولَمَّا انتهت منْ عَشائِها ذهبت إلى الحديقةِ لِتَتَمَتَّعَ بالْجوِّ الهادِئِ ، وبالسُّكون الشامل ، بينما أغمضَتِ الأزهارُ جُفونَها ، ونامَتِ الطيورُ فى عِشاشِها ، ثم بَدأ

النسيمُ يهبُّ مُحدِثًا صوتًا بين الأوراق ، كأنّها تتهامَسُ في صوتٍ خافتٍ ، وبَدَتِ الغابةُ وكأنّها تتحدّث كلُّها في صوتٍ ليّنٍ هادئٍ خفيفٍ .

ثم تغيَّر هذا الهَمْسُ ، فصار أنينًا ، وتنهُّداتٍ .

وعَجِبت قالبُ الزبدِ لهذا التَّغيُّرِ المُفاجئِ الذي طرأَ على الأشجارِ ، ونظَرت مِنْ بينِ الأغصانِ إلى السماءِ ذاتِ النُّجومِ اللامِعةِ ، فلاحظت أنَّ نجمةً تلمعُ لمعانًا شديدًا ، وتُبرِقُ بَريقًا أخّاذًا ، ثم بدأتْ هذهِ النجمةُ تتَّجِهُ نحوَها وهي تنظُر إليها ، وكُلَّما اقتربتْ منها كَبِرَتْ وزادَ حجْمُها ، ولما وصَلَتِ النجمةُ إلى أعلى الشجرةِ وظهرت لعَيْنَيْها بوُضوحٍ ، رأتْها جِنِّيةً ذهبيّةً جَميلةً رقيقةً .

وبَدَأتِ الجنيةُ تُحَيِّي « قالبَ الزبدِ » ، وقالتْ لها :

مَساء الخيرِ يا زَهْرَتَنا العزيزةَ ، مساء الخيرِ يا قالَبَ الزُّبدِ . فردَّتْ عليها « قالَبُ الزبدِ » ولكنَّها كانت لا تَزال فى دهْشةٍ منْ أمْرِ هذه التَّنَهُّدات ، ولاحَظَتِ الجِنِّيَّةُ علَيها الدهْشةَ ، فقالَت لَها : أَظُنُّكِ يا عزيزَتى فى حيْرةٍ منْ أمرِ هـذه التَّنهداتِ !! إنِّى عندى الجوابُ ولا أحَدَ غيْرى يستطيعُ أن يُجيبَكِ عَنْ هذا . . . لقد هَبَّتِ الريحُ فى تلْكَ الليلةِ فى اتِّجاهِى ، فاسْتَمَعْتُ إلى القصَصِ والأَخبارِ التى تَحمِلُها منَ العالَمِ الخارجِىِّ ، لقد حمَلَت إلىَّ أنَّ الأطفالَ الفقراءَ والبناتِ الفقيراتِ عَلى الأرضِ فى حالةٍ مُحزِنَةٍ ، إنَّهم كالقِصَصِ الحزينةِ ، المَمْلوءةِ بالمآسى والآلامِ ، إنَّهم يُقاسُونَ الجوعَ والحِرمانَ ، إنهم يُقاسُونَ البَرْدَ والعُرْىَ ، وقِلَّةَ الغذاء .

فصاحت « قالَبُ الزبدِ » : آه ، يا لَهُ مِنْ حِرْمَانٍ

مُميتٍ ! لقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبِي منْ حِرْمانِهم وَجُوعِهِم ، وحالهِمُ السَّيِّئةِ .

يا سيِّدَتِي الجنيــةَ ، إنِّى أوَدُّ أنْ أسَاعِدَهُم ، ولـكنِّى خائِفَةٌ ألَّا أجِدَ ما أَستَطِيعُ مُساعَدَتَهمُ به ، فهَلْ هنــاكَ ما أستطِيعُ عَمَلَه ؟ دُلِّيني عَلى ذلِك . أرجُوكِ . .

فقالتِ الجنيةُ الذهبيةُ : نَعَم تَستَطِيعِين مُساعَدَتَهم ، إذا فَـكَّرْتِ وشَعَرْتِ حقِيقةً بالأسَفِ والألَمِ لهؤلاءِ المسَاكِينِ ، ورُبَّما تَطِيرُ أفـكارُكِ الشفيقةُ إلَى الأرضِ الشرقيةِ ، حيْثُ يُوجَدُ هؤلاءِ الأطفالُ ، وهُم يَنْتظِرُونَ الرحمةَ والإحسانَ .

وطارَتِ الجنيــةُ الذهبيةُ إلى السماءِ مرةً أخرى ، واختفت ، ولَمْ تَعُدْ تَراها « قالَبُ الزبد » ، ولـكنَّ نجْمةً كثيبةً صغيرةً تحرَّكَتْ بسرعةٍ بجانبِ القمرِ ، وتركَتِ

الجنيةُ الذهبيةُ «قالَبَ الزبدِ» وَحيدةً فريدةً فى حَدِيقتِها ، تتَّجِهُ إلى الأرضِ ، وإلى الفقراءِ بأفكارِها الجميلةِ ، فمدَّتْ ذراعَيْها ، وصرخت :

آه آه ! ! إننى أستطيع أن أساعدَ هؤلاءِ الأطفالَ الفقراءَ ، إننى أستطيعُ أن أَعملَ شيئاً من أجْلِهِم ، لِأسْعِدَ حياتَهم ، وأُدخِلَ السرورَ على نُفوسِهِم ، وامتَلأَت عيْناها بالدموعِ ، ثم ظهَرَ لها أنها تَرَى خَيالَها ، وظلَّها يَنْمُو شَيْئاً فشيْئاً خلالَ الغابةِ ، وسارت إلى أقصى ما تستطيعُ من الغابةِ ، ووقَفَت فى حديقَتِها على ضَوْءِ القمرِ ، تُفكِّرُ وتفكِّرُ فى أَطفالِ الأرضِ الفقراءِ ، وظل تفكيرُها هكذا مُدةً طويلةً . . . وفجأةً سمِعَتْ صَوْتاً ضعيفا يَقترِبُ منها شيئاً فشيئاً . فاعتقَدت أنه لبعضِ الطيورِ ، ولكنها لم تَلْبَثُ حتى لَمَحَتْ فَوْق

رأسِها حمامةً بيضاءَ تحومُ ، وتحلِّقُ فوقَها ، في هالةٍ من ضَوْءِ القمرِ تُحيطُ بها ، ثم حطَّتِ الحمامةُ ، ووقفت على كَتِفِ « قالَبِ الزبدِ » ، فأَخذَتْها برِقَّةٍ ، وأَمْسكَتْها بحَنانٍ ، فلاحظت أنَّ رسالةً مَرْبوطةٌ في رَقَبَتِها ، فأَخَذَتِ الرسالَةَ ، وفتَحتْها ، فرأَتْها مكتوبةً بيَدِ طِفلٍ صَغيرٍ بائسٍ ، وقَرَأَت فيها :

عَزيزتي الجنيةَ . . .

إننا فُقراءُ ، محرُومُون ، وليْس عنْدَنا شيءٌ نأكُلُه ، إننا نُريدُ أنْ نَصْعدَ إلى أرْضِ الجنياتِ ، أرضِ الحبِّ والعَطفِ والحنانِ . . .

صادق وسامي

فابْتهَجتْ « قالبُ الزبدِ » بالرسالةِ الصغيرةِ ، وكانَتِ الحمامةُ لا تَزالُ واقفةً عَلى كَتِفِها ، فاتَّجَهتْ

نحوَ بِركَتِها ، وأحْضَرَتْ كِيساً صغيرًا منَ الحرير ، ومَلأَتْه تِبْرًا « ذهَباً » ورَبَطَت الكيسَ فى رَقَبَةِ الحمامةِ ، ثم ثَقَبتْ ثُقْباً فِى الكيسِ ، وطالَبتِ الحمامةَ بأَنْ تَطِير فى الحالِ إلى « صادِقٍ وسامِى » وفَهِمَ الطائِرُ ما أَرَادَتْ ، وطارَ فى الحالِ .

وفى الصباحِ اسْتَيقظَ صادِقٌ وسامِى مُبكِّرَيْن ، وأسْرَعا لِيَرَيَا هَل عادَتْ حمامَتُهما التى طارت بالرِّسالَةِ .

ثم ما كانَ أشَدَّ ابْتهَاجَهُما حينَ رأَيا الحمامةَ واقِفةً عَلى الحائطِ ، فاتَّجَها إليها باهْتِمامٍ لِيَرَيا هل حَمَلتْ إِلَيْهِما رَدَّ رِسالَتِهما إلى أرضِ الجنياتِ ، وتَقدَّمَ صادِقٌ منَ الحمامةِ ، ولكِنَّه لم يجِدْ شَيْئاً تحت جَناحِها ووَجَدَ كِيساً فى عُنُقِها ، فَتَّشَه فوجَده



حطت الحمامة ، فأخذتها قالب الزبد برقة

منَ الحريرِ الأخْضَر ، وبهِ بقَايا تِبْرٍ قد سَقَط من ثُقْبٍ صغيرٍ فيهِ ، وصَرَخ صادِقٌ :

سامِى ، سامى ! أُنْظُر !! أُنظر !! إنَّ التِّبْرَ الذى كانَ فى الكِيسِ عَمِلَ طريقاً لامِعاً ممتدًّا إلى مَسافاتٍ بَعيدةٍ ، إن الجنيةَ تُعرِّفُنا الطريقَ إليها ، إنّها فى آخرِ هذا الطريقِ الذى يُشيرُ إليه هذا التِّبرُ اللامِع .

وصَمَّمَ صادقٌ وسامى على ألَّا يَذْهبا إلى المدرسةِ فى هَذا اليومِ ، بل يَسيرا على هَدْىِ هذا التِّبرِ الذى سيُوَصِّلُهُما إلى أرضِ الجنيات .

وفرِح سامى ، ونَطَّ من الفَرْحة ، وفرِح صادق ، ونطّ من الفرْحة ، وقالا معاً :

إلى أرضِ الجِنِّيات .

سار صادقٌ وسامى فى اتِّجاهِ التِّبر ، وسارا وسارا ؛ حتى

تَعِبا من السَّير ، وشعَرا بالُجوعِ ؛ لِأنّهما نَسِيَا أن يُفْطِرا صَباحاً .

وأتَى الظُّهرُ ، وقد مَرَّا بقَرْيةٍ تُشبهُ أرضَ الجنيات ، بِها حدائقُ عَجِيبةٌ ، وحُقولٌ واسعةٌ، وأزهارٌ بَرِّيةٌ لها ألوانٌ مختلِفةٌ ، وأشجارٌ ظَليلةٌ ، وطُيورٌ تُغنِّي فوقَها ، وأرانِبُ تَقْفِزُ هُنا وهناك ، ولكنَّ التِّبرَ كان لا يزالُ يُشيرُ إلى أن الأرضَ الموْعودةَ لم تَأْتِ بَعدُ ، فسارا وسارا حتّى قادهُما التبرُ إلى وادٍ فَسيح ، ثم إلى تَلٍّ عالٍ ، ثم إلى جِسرِ نَهْرٍ عَظيم . . .

وأيقَنا بعد أن فارَقا القريةَ أنّهُما قد مَرَّا بقريةٍ مَسْحورةٍ . .

وصرَخ الوَلَدان :

آه ! آه ! ماذا نَفعل ؟ ؟ ماذا نَفعلُ ؟ إننا لنْ

نستطيعَ أن نمشِيَ فوق هذه المياهِ العظيمةِ .

وتحيَّر صادقٌ وسامى فيما يَفعلان ، كان طريقُ التِّبرِ يَشُقُّ أمامَهما المياهَ ، ويلمَع فى وسَطِها ، وهَمَّ كلٌّ منهما بخَلْعِ حذائِه ، ليمشِيَ فى هذا الماءِ ، ولكن حَدث شيءٌ عجيبٌ مدهشٌ فالتِّبْرُ قد تماسَك ، واتَّسَع ، وانْحَنَى ، وصارَ عاليًا فوقَ سطحِ الماءِ ، ثم صار جِسرًا ذهبيًّا ، يُمكِنهما أن يَسيرَا عليْه .

عندئذٍ فرِحَا ، ونسِيَا تعَبَهُما ، وقفَزا وجَرَيا فوقَ الجِسْرِ الذهبيِّ ، وعَبَرَا النهرَ ليَجِدَا الطريقَ أمامَهما لامعًا بالتبرِ ، فتبِعاه حتى قادَهُما إلى غابةٍ واسعةٍ ... فلما وصَلا إليها وجَدا مَنزِلاً صغيرًا فى وَسَطِ حديقةٍ صغيرةٍ ، وفى آخرِ الحديقةِ بِرْكةٌ ، جَرَيا إليها ، فَسَمِعا صوتًا يقول فى حَنانٍ :

آه ! مَرْحباً ، أنتما هُنا . . .

خرجَت « قالَبُ الزبدِ » أمامَ بابِ البيتِ الصغيرِ لتَسْتَقْبِلَ الطفليْن ، وقالتْ لهما :

هل عرَفتُما الطريقَ ؟

فأيقَن الطفلانِ أنهما أمام جِنيَّةٍ حقيقيةٍ . وأمْسكَتْ قالَبُ الزبدِ يَدَهُما بحنانٍ وعَطفٍ ، وقادَتهما إلى الحديقةِ ، فأكَلا من الفراوْلَة والتُّوتِ ، ثم ساعَداها فى صَيْدِ السَّمكِ من البِرْكَةِ ، ووضَعا معَها السمك على المائدةِ ، ثم أكَلوا جميعاً .

ومكَث صادقٌ وسامى مع الجنيةِ أسبوعاً على تلك الحالِ السارَّةِ ، ثم قالت لهما « قالَبُ الزبدِ » : لقد حان الوقت المناسبُ لرُجوعِكُما إلى منزِلِكما .

ثم سألتهما : ماذا تُحِبَّانِ أن تأخذا معَكما ؟

فقال سامى : أُحبُّ أن آخذَ قليلاً من الزُّبدِ . . .
فقالت لهما قالَبُ الزبدِ :
نِعْمَ هذا الاختيارُ ، لأنَّ الخبزَ عِندكم رخيصٌ ، أما الزبدُ فنادرٌ عندكم .
وصَفرَتْ قالَبُ الزبدِ ، فأقْبلَ نحوَها ستَّةٌ من الأطفالِ الصغارِ ، فقالت لهم :
احمِلوا كُرسىَّ الزُّبدِ إلى العالَمِ الخارجىِّ ، واحمِلوا عليْه هذيْنِ الطفلين ، ووصِّلوهما إلى منزِلِهما ، ثُم ارجِعوا إلىَّ فى الحالِ .
وطَلَبَتْ قالَبُ الزبدِ من صادقٍ وسامى أن يجْلِسَا على الكرسىِّ ، فلما جَلَسا انحنى الأطفالُ الستةُ ، ورفعوا الكرسىَّ فوْقَ أكْتافِهم ، وهُنا صاح صادقٌ :
يا جنيَّتَنَا المحبوبةَ ، إنكِ الآن ليس عِندكِ زُبدٌ ،



خرجت « قالب الزبد » أمام باب البيت الصغير لتستقبل الطفلين

فهلْ نأخذُ جزءًا ، وتأخُذين جزءًا ؟

فقالت :

أشكركُما ، وهذا الكرسيُّ مَسحورٌ ، وكلَّما أكَلتما منه شيْئا عاد كما كان ، ولن يَنتهيَ هذا الزبدُ أبدًا .

طارَ الأطفالُ الستةُ بالكُرسيِّ ، وحَملوا صادقًا وساميًا حتى وَصَّلوهُما إلى منزِلِهما ، فرآهُما والدُهُما وأُمُّهُما ، فابْتَهجا لرؤيَتِهما بعد غِيابِهما عنهما هذه المدَّةَ ، وفاضت عيْنُ الأمِّ بدموعِ الفرَحِ لِمَقْدَمِهِما ، وأخَذتْهما بين ذراعَيْها تُقبِّلُهما وتَلثُمُهما .

تَرَكَ الأطفالُ الستةُ الكرسيَّ بالْفِناء ، وعادا إلى أرضِ الجنيات ، فَذَهبَ صادقٌ وسامي إلى الكرسيِّ ، وحَملاه وأوْصلاه إلى المَطْبخِ ، وقَصَّا على أُمِّهما وأبيهما قِصَّتَهُما ، وقِصَّةَ الجنيةِ ، وقصةَ كُرسيِّ الزبدِ ، وأمْسَك صادقٌ

سِكِّيناً ، وقَطعَ قِطعةً من الزبد ، وعاد الكرسىُّ كما كان وقَدَّم لِأُمِّه القِطعةَ لِتَذُوقَها ، فذاقتْها ، فوجدتها لَذيذةً جِدًّا ، وأعْطتْ قِطْعةً مِنها لِزَوْجِها فَذاقَها ، وفَتح فاهُ مِن الدَّهْشة .

وقالتِ الأُمُّ : سأصْنعُ لَكُما كَعْكًا منْ هَذا الزُّبد ، وقَطع الأبُ لِنَفْسِه قِطعةً من الخبزِ ، ووَضَع علَيها شَيْئًا مِن الزبد ، وصارَ يَأْكلُ فى لَذَّةٍ وسُرورٍ ودَهْشةٍ .

وخرج صادقٌ وسامى إلى الفِناء لِيرَيا الحمامةَ ، فوجَداها واقفةً كعادتِها على الحائطِ فصاحا فى سرورٍ :

إنها هُنا ، إنها هُنا ، سلامُنا وتحياتُنا إلى قالَبِ الزُّبدِ ، إننا نقَدِّمُ لها خالصَ الشكرِ على هَدِيّتِها الثمينةِ ، قد مَلَأَت بيتَنا سعادةً .

وتمنَّى الأطفالُ فى نَفْسَيْهِما أن يَرَيا قالَبَ الزُّبدِ لمدَّةٍ

دقيقةٍ واحدةٍ ليشكُراها . فَتهيَّأَتْ لهما ، وهى تُلَوِّحُ يَدِها مُحيِّيةً ، ثم اختفت ، وفى تلك الأثناء طار من فَمِ صادقٍ فراشةٌ زرقاء ومن فَمِ سامى فراشةٌ بيضاء ، وكانَتا صورةً تعبِّرُ عن أفكارهِما التى تشكرُ قالَبَ الزبدِ ، وهديةً جميلةً إليها ، وطارتِ الفراشَتانِ إلى أرضِ الجنيةِ رمزًا للتعبيرِ الجميلِ عنِ الوُدِ الخالصِ ، والشكرِ الجزيلِ.

خَرجت قالَبُ الزُبدِ فى الصباحِ كعادتِها إلى الحديقةِ ، ووقَفت على بابِ المنزلِ الصغيرِ وهىَ فى أَتَمِّ سعادةٍ ، لأنها استَطاعت أن تَصنعَ معروفًا ، وتتقَدَّمَ جميلًا لأطفالٍ فُقراءَ من أَطفالِ الأرضِ ، فأدخَلت إلى قُلوبِهِمُ الفرحَ ، ومَلَأَت بيتَهم سرورًا وسعادةً . . . وإن كانت قد حرَمت نَفسَها من كُرسىٍّ الزُبدِ الذى لَنْ تأْكلَ منه بعدَ ذلك إلى آخرِ حياتِها ، ولكنها مع ذلك كانت



وفيما هي في سعادتها رأت فراشتين جميلتين

سعيدةً ، لأنها أَسعَدتِ الآخَرين .

وفيما هى فى سعادتِها هذه شاهَدَت فراشتَيْن جَميلَتَين لم ترَهُما مِن قَبْلُ ، وكانتا هُما هَدية صادقٍ وسامى إليها ، ووقفتْ قالَبُ الزُّبدِ تُشاهِدُهما فى سعادةٍ وسرورٍ ودهشةٍ ، وهى تُسائلُ نفْسَها :

متَى حضَرا ؟ وكَيْف ؟ ومِن أَيْن ؟ ولِماذا ؟

ولم تَشأْ أن تَتحرَّكَ حتى لا تُفزِعَهُما ، ولا تُخيفهُما ، وظلَّت الفراشَتانِ تَطيران من شجرةٍ إلى شجرةٍ ، ومن زَهرةٍ إلى زَهرةٍ ، حتى حَطَّتَا فوقَ الأشجارِ ، وصارتْ حديقةُ قالَبِ الزُّبدِ بعد ذلك مَمْلوءةً بالفَراشاتِ المُلوَّنةِ البَديعةِ التى تَظهَر فى كلِّ حينٍ ، وتَحومُ حوْلَ قالَبِ الزُّبدِ وتَطوفُ حوْل بَيْتِها ، لتُدْخلَ عليها السعادةَ والسرورَ .

انتهى « عاطف » من حكاية « قالب الزبد والفراشات » وسمعه التلاميذ والتلميذات وسروا منها سروراً عظيما .

وسألتهم المدرسة الأسئلة الآتية :

١ — ماذا فعلت الحوريات لليتيمة « قالب الزبد » ؟

٢ — لم حزنت « قالب الزبد » بعد السعادة التى كانت فيها ؟

٣ — ماذا رأت قالب الزبد فى رسالة الحمامة ؟

٤ — ما الخدمات التى قدمتها « قالب الزبد » لسامى وصادق ؟

٥ — بم نصف قالب الزبد ؟

٦ — بم رد الطفلان الجميل لقالب الزبد ؟

٧ — ما الواجب علينا تجاه الفقراء ؟

أجاب التلاميذ والتلميذات عن الأسئلة التى وجهتها المدرسة ، فشكرتهم .

ثم قالت : مَن يستطيع أن يحكى الحكاية كما حكاها « عاطف » فرفع جميع التلاميذ أيديهم . فأذنت « لفوزية » أن تحكى الحكاية .

وقفت فوزية فحكت الحكاية كما حكاها عاطف بصوت عال ، وإلقاء جيد ، فشكرتها المدرسة .

فرحت « فوزية » وقالت :

فى يوم السبت الآتى أحكى حكاية أسمعها من جدتى كما سمع عاطف من جدته ، فوافقتها المدرسة على ذلك .

المحتويات

رقم الإيداع		٨٥٧٤/ ١٩٩٥
الترقيم الدولى	977 – 02 – 5054 – 0	ISBN

٧ / ٩٥ / ١١٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

جدتى حكت لى...

هكذا تحكى لنا جدتنا قبل أن ننام ! .

إنها مجموعة من القصص سهلة الأسلوب . . ميسرة المعنى . . مسلِّية مفيدة . . تجعل من أحلامنا عالمًا من الخيال والمتعة . .

وستجد يا صديقى فى هذه الحكايات . . ما يجذبك إلى عالم القراءة . . وما ينمِّى عقلك وتفكيرك . . وما يجعلك إنسانًا نافعًا لمجتمعك :

اقرأ فى هذه المجموعة :

١ - ماء الشفاء
٢ - الطائر الفضى
٣ - سلة المفاجآت
٤ - حسناء المرعى
٥ - رباب فى بلاد السحاب
٦ - أميرة الورد الأبيض
٧ - منظار الحوريات
٨ - أطفال البحر
٩ - حيلة الجدة سالى
١٠ - علياء وأميرة الزهر .

دار المعارف